

جزين : بؤس التعايش . من ماضي الاصطياف إلى حاضر القلق الطائفي والإقليمي 1 من 2

حازم صاغية بيسان الشيخ **نشر في الحياة يوم 24 - 11 - 2013**

ذات يوم، قبل 1948، كان المصيفان الوحيدان في لبنان عاليه وجزّين. أمّا البلدات الأخرى، كبحمدون وصوفر، فكانت تهمّ أن تصير كذلك. ولأنّ جزّين غير بعيدة من فلسطين المتّصلة بمصر، غدت مصيف الباشوات المصريّين وسواهم من المتّجهين شرقاً وشمالاً. هكذا، نشأت مبكراً فنادق تحمل أسماء"الأهرام"و"فلسطين"، ... ما الستينات والسبعينات، قبل أن يذوي مع حرب السنتين في 1975.

وكانت قد جُدّدت البنية التحتيّة للبلدة، فجُرّت المياه في 1927، واعتُمد الصرف الصحّيّ في 1940. وأهمّ من ذلك كانت ال... وقليلة العصبيّة وسمت شخصيّتهم، مثلهم في ذلك مثل جوارهم المسيحيّ في شرق صيدا. فلئن طغى على شمال متصرّف... افتخار ابن العشيرة الغاضب، طغى على جنوب المتصرّفيّة المارونيّ، في جزّين، اعتدال ابن العائلة ـ النواة الذي يهيّ... إطلاق العنان للسانه تعبيراً منه عن شعور حادّ ألمّ به، لم تفارق الثاني عفّة اللسان واقتصاد سلوكيّ تشارك فيهما مع جاره الدر... وهذا ما كان منّة الطبيعة التي غدت، في وقت لاحق، لعنتها. فالمحيط المسيحيّ هناك إنّما ولد أصلاً بصفته منطقة عازلة بين ا... الشيعة الذين أقام أسلافهم في جزّين. وعن موقع كهذا، منوط به امتصاص التوتّر، ينشأ التوسّط بالمقدار الذي ينشأ فيه التكيّف. والحال أنّ معظم أسماء الجزينيّين الذين برزوا في الشأن العامّ يصحّ فيهم النعت هذا. فزعماء جزّين، من جان عزيز إلى سم... أحدهم، إدمون رزق، فلم تحلْ كتائبيّته التي استمرت عقوداً، دون كونه خطيب المناسبات العاشورائيّة. ولئن عُرف الشاعر الك... بن أبي طالب ومواقعه، فإنّ البطريرك المارونيّ بولس المعوشي اشتُهر بمعارضته عهد كميل شمعون الذي أخذ عليه تطرّفاً في

وعلى امتداد سنوات الحرب حافظ سياسيّو جزّين، موحّدين أو متفرّقين، على نهج يصون العلاقة مع الجوار، لا الشيعيّ أو الد... وهي مهمّة كانت بالغة الصعوبة في ظلّ احتدام الأوضاع وتشابك ما لا حصر له من عوامل تستحيل السيطرة عليها. إذ، كما قال... أن نتحكّم بما يقرّره الإسرائيليّون والفلسطينيّون والسوريّون والإيرانيّون؟".

الجهد أوّلاً

بيد أنّ سبباً آخر جعل تلك الشخصيّة تكتسب ما اكتسبته من مواصفات. فالجزينيّون لم يكونوا من المحاربين والعصاة أو الكفّار... وهو الحدود الجنوبيّة للمتصرّفيّة، كان ملكاً لآل جنبلاط الذين ورثوا بيت القاضي. ويروي الأستاذ الجامعيّ الياس قطّار أنّ السكّا... فعلوا بصفتهم شركاء لكبار الملّاكين، فأحرزوا ما أحرزوه بالعمل والجهد واستصلاح الأراضي. وهذا ما جنّبهم المبالغة والإد... منطقةً كان الآخر أو طائفةً أو طبقة اجتماعيّة، بحيث باتوا يؤثرون حلّ المشاكل بالّتي هي أحسن."فنحن"، كما يقول جزّين،"نملك من تركيبنا ومن وضعنا الجغرافيّ ما لا يسمح لنا بأن نختلف مع أحد".

في عهد المتصرفيّة. هكذا، كانت تيّاراتها السياسيّة امتداداً لما هو سائد في الجبل، بحيث عُرف إدمون رزق طويلاً بكتائبيّته، وا
نديم سالم إلى"حزب الوطنيّين الأحرار"قبل أن ينضوي في"حركة التجدّد الديموقراطيّ". وهي اليوم حيث يعمل المخفر والمد
تكاد. ذاك أنّ عائلاتها، التي فرّعها انتشار التعليم، كفّت عن التلاحم الانتخابيّ وراء مرشّح بعينه والتعصّب له ضدّاً على عا
بتاريخهم الحديث، ما يعكسه تمثال صغير ووديع في ساحة البلدة لسليمان كنعان"بك"، عضو مجلس إدارة جبل لبنان وأوّل زعد

والحقّ أنّ التمثيل السياسيّ للقضاء نمّ عن الكثير من تلك المواصفات. فلعشرات السنين تعاقب أصحاب المهن الحديثة، ا
البرلمانيّة. وإذا صحّ أنّ القضاء لم يحصل على ما يستحقّه من تصدّر سياسيّ، صحّ أيضاً أنّ المركزيّة الجزينيّة أرحب من مر
أواخر الخمسينات، حلّ في البرلمان نائب من قرية البابا الصغيرة هو نقيب المحامين فريد قوزما الذي شغل الوزارة ثلاث
السياسة المحلّيّة لبروز كلود عازوري من قرية عازور، الصغيرة هي الأخرى.

الوجهة المعاكسة

ليس من المبالغة إذاً أن يقال إنّ جزّين مصغّر لبنان في الهشاشة حيال خارج مضطرب."فنحن"، وفق أنطوان رزق،"جعلَنا الم
لا نحتمل اهتزاز الأمن في أيّ مكان: فإذا انهار في طرابلس فكّرنا بما قد يحصل في صيدا، وإذا تردّى في بعلبك أو سواها خف
سألناه عمّا قد يحدث لبلدته فيما لو اصطدم الشيعة في الجنوب والشرق بالسنّة في الغرب أو بالدروز في الشمال:"يجتاحوننا في
وهذا ما يرفع التعايش، والطلب على الأمن تالياً، إلى سويّة الشرط الشارط لأهل جزّين. غير أنّ الخارج بدأ يضطرب مبكراً. و
التدهور يذرّ قرنه مع الانقطاع عن الدولة أواخر الستينات، حين قامت"فتح لاند"وأُسقطت اتّفاقيّة الهدنة، ثمّ ظهر، في 1976،
الجيش في الجنوب. وردّاً على المناشدات بالانضمام إلى تلك الثكنات، طالب رزق قائد الجيش حنّا سعيد بإنشاء تجمّع للجيش
بسائر طوائفهم. وفعلاً نشأ التجمّع الذي انضوى فيه 870 عسكريّاً ساعدوا جزّين على الصمود. لكنّ أواخر العام ذاته، 976
القضاء مع النبطيّة، فقضى على أيدي القوّات الفلسطينيّة واللبنانيّة المتحالفة أكثر من 70 قتيلاً.

حينذاك تداعى سياسيّو جزّين وقادتها إلى إنشاء لقاء عهدوا برئاسته إلى"أكبرنا"جان عزيز، فيما تولّى إدمون رزق النطق با
فريد سرحال ونديم سالم والمطران ابراهيم الحلو. أمّا الهدف من اللقاء هذا فكان تشجيع السكّان على البقاء في البلدة وتأس
النزاعات.

لكنّ الأحداث ما لبثت أن فاضت بما يغمر القدرات المتاحة. ففي 1978 كان الاجتياح الإسرائيليّ الأوّل حيث نشأ الشريط الح
لاحقاً"جيش لبنان الجنوبيّ". وبعد أربعة أعوام كان الاجتياح الأكبر وما تلاه من محنة تهجير الجبل في 1983 - 1984، حيث
الانسحاب الإسرائيليّ من الأوّليّ وقد تبعه الفلتان والفوضى وتهجير ما سمّي ساحل منطقة جزّين وشرق صيدا.

وحيال عجز الدولة أمام تلك الأحداث الجسام وتمنّعها عن إدخال جيشها، وفّر"جيش لبنان الجنوبيّ"الأداة الوحيدة للدفاع
وبأعمال التهجير في الجوار. لكنّه وفّر أيضاً الذريعة لإبقائها في مرمى نيران الجماعات التي تقاتل إسرائيل.

فجزّين بدت عالقة في الفراغ، لا هي مضمومة إلى الشريط الحدوديّ ولا هي في عهدة الدولة التي لا تجرؤ على ضمّها إلي
الجنوبيّ"، أو"جيش أنطوان لحد"، دفاعاً عن النفس.

لكنّ تلك الأسباب لا تختصر علاقة الجزّينيّين بالجيش اللحديّ. ذاك أنّ تهجيري الجبل وشرق صيدا قذفا بالآلاف من أبناء المنط
غاضبين ويائسين، ولكنْ أيضاً مُفقرين تركوا وراءهم أملاكهم وأشغالهم وما ادّخروه، ليقيموا في بيوت جزّين المهجورة ومبا
هؤلاء كانوا، وفق الياس قطّار، أكثر من انضووا، مدفوعين بالحاجة، في قوّات لحد، فيما أبقى بعض الجزّينيّين أبناءهم خار
القوّات. وبينما كانت الليرة اللبنانيّة تنهار أمام الدولار، وبانهيارها تتقلّص القدرة الشرائيّة للأجور، تقاضى المجنّد في"لبنان

ذاك أنّ الأخيرة التي أتاح لها موقعها، في أزمنة السلم، كثير المعابر والممرّات إلى بيروت، أضحت رهينة معبر واحد، يُغلق في
فمن خلاله وحده استمرّ التواصل المخنوق مع العاصمة بين 1985 و1999، مثلما استمرّ تواصل الدروز الشوفيّين مع دروز حا
بطبيعة الحال لم يكن الجزينيّون مسرورين بحصارهم وما آلت إليه أمورهم. هكذا، يروي القائمقام السابق توني عازار قص
السنوات المُرّة. ففي الخامسة مساء كانوا يلوذون ببيوتهم، يزيد من شعورهم بالاكتهال ذاك التجنيد الإجباريّ الذي يفرّ منه الش
الاختناق، تأدّى عن إعاقات المعابر تردّي الوضع الصحّيّ تبعاً لصعوبات الانتقال إلى المستشفيات. وهذا، كما يضيف عازار،'
للجنود والتنفيعات التي يحظى بها المتعاونون".

لقد خسر قضاء جزّين 400 شابّ قُتلوا إبّان الاحتلال الإسرائيليّ، وكانت تمرّ أيّام يدفن الجزينيّون في واحدها ما بين 10 و15 قت
مشيئة"سوريّة الأسد"

لكنّ تلك المحنة المتمادية لم تكن بعيدة عن تصوّر"سوريّة الأسد"لصراعها مع إسرائيل ونظريّتيها الوظيفيّتين عن"الساحة
يعلن إدمون رزق، معلّقاً على تلك الأطوار الدموية، أنّ"الجريمة الأكبر في تاريخ لبنان كانت عدم إبرام اتّفاق 17 أيّار، بسبب
فاتحةً الباب للفوضى التي مثّلها الانسحاب الإسرائيليّ الأحاديّ". أمّا سيمون كرم، السفير اللبنانيّ السابق في الولايات المتّحدة
ابتدأ بمؤتمر مدريد في 1991 وتُوّج بمعاهدة أوسلو في 1993، تشدّدت في لبنان عبر تنشيطها العمليّات العسكريّة. لقد عطّلت
جزّين بموجب معادلة"جزّين أوّلاً". وفي ظلّ التحكّم السوريّ بلبنان خُوّن أهل جزّين عن بكرة أبيهم، وهُدّدوا بالعمليّات الت
المدنيّين، كما كانت تشنّها، فضلاً عن"حزب الله"، الأحزاب والقوى الأخرى التابعة لدمشق. وبالفعل، صارت جزّين الخاصرة
إسرائيل وحزب الله".

وفي هذه الغضون، وفي 1997 تحديداً، أنشئ"لقاء مار روكز"المدعوم من البطريرك نصرالله صفير، والذي ضمّ إدمون
عازوري وشخصيّات، سياسيّة ودينيّة، أخرى. فهؤلاء كانوا، ضدّاً على الرغبة السوريّة، يسعون إلى حلّ لبلدتهم وقضائهم يقو
ما لم يحصل في أواسط الثمانينات لم يحصل في أواخر التسعينات. فقد وافق لحد وامتعضت دمشق، صاحبة"تلازم المسارين"،

وبالفعل انسحب لحد وقوّاته المثخنة بالجراح صبيحة 1/6/1999، فعوقبت جزّين على انسحابه منها بعدما عوقبت على بقائه
الانتقام.

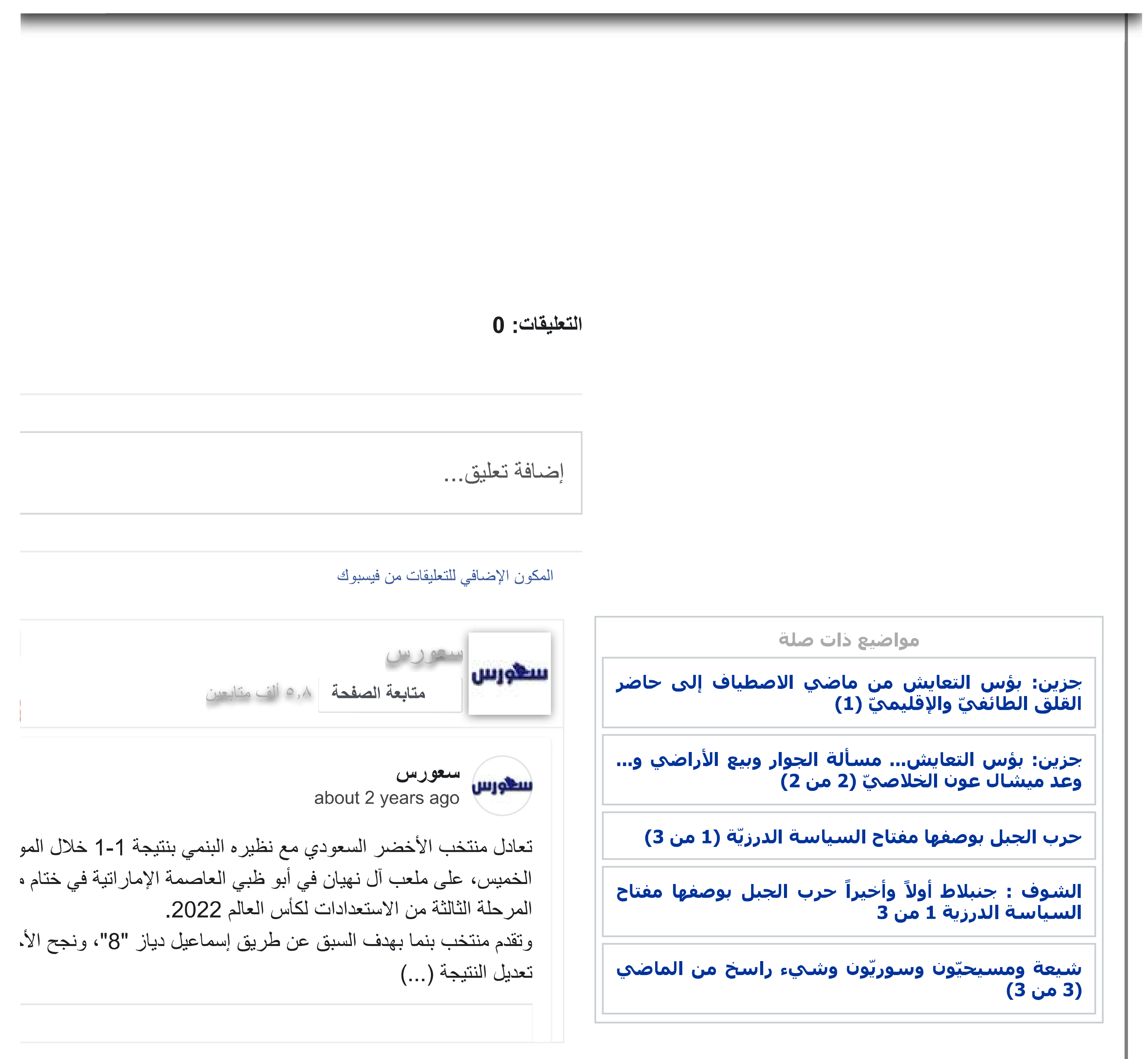
فقد حوكم حوالى 300 شابّ ممّن لم يُعامَلوا معاملة سائر الميليشيات بعد اتّفاق الطائف. وهم لئن طاولتهم أحكام معتدلة ترا
سجلّاتهم وسجلّات أهلهم بقيت مفتوحة، كما بقي التسلّط عليهم سهلاً، استدعاءً إلى مراكز المخابرات، وتضييقاً في فرص
بلديّاتهم، ومساءلةً عند السفر أو عند العودة.

وإذ رأى سيمون كرم أنّ"هذا السلوك إنّما تمأسس"، ذكّرنا إدمون رزق بقوله أمام المحكمة، فيما هو يدافع عنهم، إنّ"ا
صمدوا".

هكذا، أقامت الحرب الأهليّة الضامرة، حصاراً ثمّ عقاباً، وراء الصراع المعلن مع إسرائيل. وكان ما ضاعف المرارة أنّ أكث
جزينيّين أو مسيحيّين، بل كانوا من الشيعة الجنوبيّين. بيد أنّ ارتباط المقاومة ب"حزب الله"الشيعيّ وفّر لهم عفواً عمّا مض
ارتسمت صورةٌ لمقاوم كامل في مقابل متعاون كامل، فيما كانت سنوات الوصاية السوريّة، وابتزازها المسيحيّين بالتعاون مع إ
للأحداث يدافع فيها أصحابها عن أنفسهم ويشرحون ظروفهم إبّان الاحتلال. لقد ساد التعثّر والتأتأة في مواجهة الفصاحة الظافرة

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.

الرئيسية السياسية الاقتصادية الدولية الرياضية الاجتماعية الثقافية الدينية الصحية بالفيديو قائمة الصحف



مواضيع ذات صلة

- جزين: بؤس التعايش من ماضي الاصطياف إلى حاضر القلق الطائفيّ والإقليميّ (1)
- جزين: بؤس التعايش... مسألة الجوار وبيع الأراضي و... وعد ميشال عون الخلاصيّ (2 من 2)
- حرب الجبل بوصفها مفتاح السياسة الدرزيّة (1 من 3)
- الشوف : جنبلاط أولاً وأخيراً حرب الجبل بوصفها مفتاح السياسة الدرزية 1 من 3
- شيعة ومسيحيّون وسوريّون وشيء راسخ من الماضي (3 من 3)

حول سعورس سياسة الخصوصية صندوق الأخبار الإعلانات اتصل بنا